دراسات فى تاريخ الحركة الصليبية
(٣)

المحاولات التبشيرية فى بلاد الشام
فى عصر الحروب الصليبية

دكتور
حسن عبد الوهاب حسين
مدرس تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٨٩

دار المعرفة الجامعية
٤٠ شارع سوتير - الأزاريطة
الإسكندرية ت ٤٨٣٠١٦٣



دراسات فى تاريخ الحركة الصليبية

(٣)

المحاولات التبشيرية فى بلاد الشام

فى عصر الحروب الصليبية

دكتور

حسن عبد الوهاب حسين

مدرس تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٨٩

دار المعرفة الجامعية

٤٠ شارع سوتير - الأزاريطة

الإسكندرية ت ٤٨٣٠١٦٣

هذا البحث قدم لمؤتمر « تاريخ الامة الاسلامية بين الموضوعية والتحيز » بالتعاون بين جامعة الزقازيق ورابطة اتحاد الجامعات الاسلامية ٠ اكتوبر ١٩٨٩م ٠

بسم الله الرحمن الرحيم

« يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشـيطان الا غرورا »

(صدق الله العظيم)

النساء (١٢٠)

مقدمة

يتناول هذا الموضوع أحد الجوانب الهامة فى تاريخ الحركة الصليبية التى اتسمت بطابع دينى منذ بدايتها اخفى وراءه اطماع أخرى عديدة • وهذه المحاولات التبشيرية من جانب الغرب الاوروبى لنشر المسيحية ، أو بمعنى أدق محاولة كثلكة الشرق الاسلامى ، لم تظهر فجاة بل سبقتها محاولات فردية فى القرن الثانى عشر الميلادى / السادس الهجرى ثم اتخذت شكلا منظما بقيام بعض الجماعات الرهبانية تخصصت فى هذا العمل مثل جماعتى الفرنسسكان والدومنيكان • ووقفت البابوية وراء هذه الحاولات تشجعها فى محاولة منها لتعويض ما أصاب الحركة الصليبية من جمود وفشل •

وقبل تناول هذه المحاولات لابد لنا من تناول مدى فهم أوروبا للدين الاسلامى ، وهل كان ذلك فهما حقيقيا أم انه كان متعصبا لان ذلك سوف ينعكس على هؤلاء الدعاة ومحاولاتهم التبشيرية حيث كانوا أبعد ما يكونون عن فهم الدين الاسلامى الحنيف •

وبداية فاننا سوف نركز على هذه المحاولات الفردية وبخاصة فى القرن الثانى عشر الميلادى ، واغلب الاشارات عن هذه المحاولات أوردتها لنا المصادر الغربية ومن هنا فاننا يجب ان نكون على حذر عند تناولها لمحاولة الوصول الى الحقيقة دون تعصب او تحيز • وفى الواقع فانهلم يظهر بحث أو كتاب باللغة العربية تناول هذا الموضوع،

اما باللغات الاخرى فقد ظهرت مقالة لمارشال بلدوين (١) تناول فيها الارساليات الى الشرق مركزا بصفة خاصة على نشاط الفرنسسكان والدومنيكان فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين. كذلك دراسة لبنيامين كيدار عن «الصليبية والارسالية» تناول فيها العلاقة بين الفكرة الصليبية والارساليات سواء فى شمال افريقية أو الاندلس أو حوض البحر المتوسط أو فى بلاد الشام (٢) . وقد ناقشت بعض النقاط التى أودها على مدى صفحات هذا البحث .

وعالجت هذه المحاولات التبشيرية اثناء المعارك مع المسلمين ، ثم بين العبيد المسلمين وكذلك الاطفال وأخيرا مع الحكام والامراء المسلمين . وأخيرا هل كان لهؤلاء المرتدين دور فى المعارك مع المسلمين ورد فعل المسلمين تجاه هذه المحاولات .

الاسكندرية سبتمبر ١٩٨٩م

والله أساله التوفيق والسداد

دكتور / حسن عبد الوهاب

---

(١) M. Baldwin, Missions to the East in the Thirteenth and Fourteenth Centuries, in Setton (ed.) History of the Crusades, 5 Vol. 5, Philadelphia 1985, p. 452 ff.

(٢) B. Z. Kedar, Crusade and Mission, European Approaches to The Muslims, Princeton 1988.

يعتبر مصطلح « الارسالية » حديث من حيث استخدامه ، وهو لا يقتصر فقط على محاولات نشر الكاثوليكية بين غير المسلمين ، وانما شمل فى بعض الفترات محاولات التوفيق بين الكنيســتين الشرقية والغربية بعد القطيعة الدينية الكبرى التى تمت بينهما فى عام ١٠٥٤م • غير اننا على مدى صفحات هذا البحث سوف تتناول هذه المحاولات الفردية التى جرتلكثلكة الشرق الاسلامىوبخاصةفى بلاد الشام فى القرن الثانى عشر الميلادى / السادس الهجرى •

وقبل الخوض في دراسة هذه المحاولات ــ والتي يحاول البعض ارجاعها الى اواسط القرن السابع الميلادى (١) ــ لابد لنا من معرفة مدى فهم أوربا للدين الاسلامي فى القرن الحادى عشر الميلادى / الخامس الهجرى وذلك قبيل قيام الحروب الصليبية ، والذي سوف يعطى لنا انطباعا صادقا عن هؤلاء الدعاة • ويشير كيدار الى ان

(١) اشار المؤرخ البيزنطى نيقفور (ت٨٢٩م) الى ان قيرس Cyrus بطريرك الاسكندرية والذى كان معاصرا للفتح العربى لمصر قد اقترح ـ ربما فى عام ٦٤٠م ـ زواج ابنة الامبراطور البيزنطى هرقل من عمر وبن العاص لاقناعه بالدخول فى المسيحية • ولكن بتلر استبعد تماما هذه الرواية • اما نوا Nau فقد اطلق العنان لتفكيره معتقدا ان المقوقس اراد تحويل الرسول (ﷺ) نفسه الى المسيحية وذلك بارسال فتاة قبطية • وخلط هذا الكاتب بين مارية القبطية التى اسلمت بمجرد وصولها الى المدينة وتزوجها الرسول عليه الصلاة والسلام • بتلر : فتح العرب لمصر ، تعريب محمد فريد ابو حديد ، القاهرة ١٩٨٩ ، ص ١٢٦ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربيــة ، الاسكندرية ١٩٨٤ ، ص ١٢٣ ، وكذلك :
Kedar, op. cit, p. 85

« الفهم الاوروبى للمعتقدات الاسلامية اصبح اكثر وضوحا فى القرن الحادى عشر الميلادى » (٢) • وفى الحقيقة فان هذا الرأى يبعد تماما عن الصواب وذلك عندما نرى هذا الفهم ، اللهم اذا كان يقصد مقارنة ذلك بالفترة السابقة عن هذا القرن •

وردت أول اشارة فى منتصف القرن الحادى عشر الميلادى عن الرسول ـ ﷺ ـ لدى راؤل جلبر Raoul Glaber حيث ذكر ان المسلمين يعلمون الانبياء اليهود والمسيحيين ويعتقدون فى نبى يسمى عندهم محمد (ﷺ) • وفى نفس الفترة أشار احد الشعراء البيازنة المجهولين فى قصيدة له يحتفل بانتصار مواطنيه على مدينة المهدية فى عام ١٠٨٧م/٤٨٠هـ ، ان محمد (ﷺ) لا يعتقد فى الثالوث أوأن يسوع هو نفسه الرب(١) وعلى الرغم من ان اناسطاسين لاندولفين Anastasian Landulpian اشار لبعض عقائد الاسلام مثل الاستشهاد

---

(٢) قام البيازنة والجنوية بالاغارة على المهدية وزويلة فى عام ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م باسطول مكون من ثلاثمائة سفينة عليها ثلاثين الف مقاتل ويعدد ابن عذارى اسباب هزيمة المسلمين فى هذه الحملة ، وأشار هو وابن خلدون الى مهاجمة المدينتين ، اما ابن الاثير فلم يشر الا الى مهاجمة زويلة وذلك فى عام ٤٨١هـ ، ولكنه اضاف شرطا اخر الى شروط الصلح معهم هو « رد جميع ما حووه من السبى » • للمزيد انظر : ابن عذارى المراكشى : البيان المغرب فى اخبار الاندلس والمغرب ، جـ١ ، بيروت ١٩٨٠ ، ص ٣٠١ ، ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ١٣جـ ، بيروت ١٩٨٣ ، المجلد السادس ق٢ ، ص ٣٢٨ ، ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ٩جـ ، بيروت ، ١٩٧٨ • جـ٨ ، ص ١٤٧ ، السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، جـ٢ ، العصر الاسلامى ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٦٧٥ ، ٦٧٦ •

فى المعركة والتراحم بين المسلمين ، الا انه اساء عن قصد أو غير قصد — فهم متعة الحور العين التى اعدها الله لعباده المؤمنين عند دخولهم الجنة • فذكر ان الجنة مليئة بالملذات الجنسية لمحاولة تشويه صورة المسلمين وانهم يجرون وراء هذه المتع (٣) •

وتزداد كراهية هؤلاء المؤرخين للرسول (ﷺ) فيحاولون تشبيهه بما يفعلونه مع عيسى عليه السلام — وهو برآءمن ذلك — فيقول احدهم ان المسمين يعبدون محمد (ﷺ) • ويزعم آخر نقلا عن رواية اسبانية — تدعى كذبا وبهتانا — ان الشيطان تمثل فى صورة الملاك جبريل ونقل للرسول (ﷺ) ما سمعه فى مدارس المسيحيين لكى يبشر به بين العرب ويدعوهم لعبادة الله وترك عبادة الاوثان (٤)•

وفى اوائل القرن الثانى عشر الميلادى يحدث بعض التغير النسبى فى معلومات أوروبا عن الاسلام لدى بعض مؤرخى الحروب الصليبية • فيشير جوبيرت دى نوجان ان المسلمين لا يعتبرون محمدا

---

(٣) Kedar, op. cit, p. 85

(٤) يقول الله فى سورة المائدة ردا على ذلك « لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شىء قدير » اية (١٧) • وفى سورة يونس —"وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين » اية (٣٧) •

(ﷺ) أله ، كما يعتقد البعض ، وانما رجل تم عن طريقه ايصال التعاليم الالهية (٥) .

غير ان هذا التغير لا يستمر طويلا ، فنجد مؤرخا آخر مثـــل فوشيه دى شارتر ، والذى شارك فى الحملة الصليبية الاولى وعاش اكثر من ربع قرن فى بلاد الشام ، يشير ان المسلمين اعتادوا عند قبة الصخرة اداء صلاتهم لوثن مقام باسم محمد ، وذلك على حد زعمه والعياذ بالله . وان دلت هذه الرواية على شىء فانما تـــدل على التعصب الاعمى ضد الاسلام ومحاولة اتهامه بالوثنية (٦) .

اما رواية المؤرخ وليم الصورى والذى ولد فى الشرق حوالى عام ١١٣٠م وأصبح من رجـــال الدين المسيحى ، فهى تقطرسما وكراهية للاسلام . وعلى الرغم من ان كيدار يذكر انه لم يستخدم لفظ الوثنيين Pagans عند الاشارة للمسلمين (٧) الا ان ذلك الرأى يبعد تماما عن الصواب . فعندما تحدث عن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول « فى عهد الامبراطور الرومانى هرقلوطبقا للمؤرخين القدامى والروايات الشرقية تمكنت مذاهب محمد المضرة ان تحصل لها على اقدام راسخة فى الشرق . وهذا هو أول ابناء

(٥) Guibert de Nogent, Gesta Dei per Francos, in RHC. H. Occ. 4, p. 130.

(٦) Fulcher of Chartres, A History of the expedition to Jerusalem, Konxville, 1969, I, 26, 9 & 28, 3.

(٧) Kedar, op. cit, p. 89

الشيطان — والعياذ بالله — والذى أدعى كذبا بانه رسول من الرب، وقام باغواء اراضى الشرق وخاصة شبه جزيرة العرب • وسرعان ما انتشرت هذه البذرة السامة واخترقت الاقانيم التى قام فيها خلفاؤه باستخدام السيف والقوة لنشر معتقداته الخاطئة وذلك بدلا من استخدام الوعظ والتبشير » (٨) •

ويتضح بجلاء مدى حقد هذا المؤرخ على الاسلام بسبب انتشاره السريع فى اراضى الامبراطورية الرومانية الشرقية ، ويحاول اتهام الاسلام انه انتشر بحد السيف — وهى الرواية التى يكررها كثير من المستشرقين اليوم — وهو أبعد ما يكون عند ذلك •

اما عن مصادرد التى ذكرانه استقى منها هذه المعلومات فلم يوضحها لنا ، ويشير فى موضع آخر انه تحدث باستفاضة عن الرسول (ﷺ) فى مؤلف له يسمى « اعمال الامراء الشرقيين Gesta orientalium principum » (٩) •

وتستمر هذه الافكار الخاطئة عن الاسلام والرسول (ﷺ) لدى اولئك الغربيون على الرغم من مرور اكثر من مائة عام على وجودهم فى الشرق • ففى رسالة بتاريخ عام ١٢٠٤م من بطريرك بيت المقدس

---

(٨) Willian of Tyre, A History of Deeds done beyond the Sea, 2 vol., New york, 1943, vol. I, pp. 60 — 61.

(٩) كانت هذه المخطوطة لا تزال موجودة حتى قرن مضى فى مكتبة القديس البان St. Albans فى انجلترا ، غير انها فقدت بعد ذلك •
انظر : Introduction to Willian of Tyre, pp. 26 — 27

الى البابا انوسنت الثالث (١١٩٨ — ١٢١٦م) ذكر فيها ان المسلمين يزورون يوميا ويعبدوا ربهم محمد Magometh ، كما يفعل المسيحيون بعبادة المسيح فى كنائسهم (١٠) • وهو هنا لا يستطيع ان يفرق بين ذهاب المسلمين للمسجد لاداء العبادة لله عز وجل وطاعة رسوله والاقتداء به ، وبين الشرك بالله وعبادة المسيح الذى نفى عن نفسه هذا كما ورد فى القرآن الكريم (١١) •

اما اوليفر اوف بادنبورن فقد أشار الى نقاط عـديدة من معجزات السيد المسيح عليه السلام من واقع القرآن الكريم مثـل احياء الموتى وشفاء الابرص واعادة البصر للاعمى وذلك كله باذن الله (١٢) ، يضيف ان المسلمين لا ينكرون انه كلمة الله وانه صعد حيا الى السماء ، ولكنهم لا يعترفون بآلامه وموته أو الاعتراف بالطبيعتين والثالوث (١٣) •

ولو اكتفى اوليفر بذلك لكان منصفا فيما ينقله عن موقف الاسلام

---

(١٠) Kedar, op. cit., p: 90

(١١) عن نفى السيد المسيح عليه السلام لذلك انظر سورة النساء اية ١٧٢

(١٢) « اذ قال الله ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى وتبرىء الاكمه والابرص باذنى واذ تخرج الموتى باذنى واذ كففت بنى اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين » • المائدة ١١٠ •

(١٣) Oliver of Padenborn, The Capture of Damietta, pp. 37, 50.

من السيد المسيح عليه السلام ، ولكنه شانه مثل بقية المؤرخين الغربيين يدفعـه التعصب الاعمى لكـى يتهم المسلمين بانهـم هراطقـة ولا يصـح ان يطـلق عليهـم مسـلمين على حـد قوله (١٤) • ثم يكرر نفس الرواية السابقة عن الرسول (ﷺ) بانه تلقى اوامره من الشيطان التى تمت كتابتها بالعربية على يد أحد الرهبان المسمى سرجيوس (١٥) •

وخلاصة الامر ان معلومات أوروبا عن الدين الاسلامى وعن الرسول ﷺ لم تكن صادقة ويعتريها التعصب الاعمى من جانب هؤلاء المؤرخين • ويعترف مارشال بلدوين بذلك فيقول ان هـذه المعلومات المتاحة للغربيين عن الاسلام لم تكن كافية وغير دقيقة وأتى معظمها من اسبانيا ، وهى نفس الافكار التى استمرت فى القرن الثالث عشر الميلادى (١٦) •

ويظهر تساؤل هام هنا قبل تناول هذه المحاولات التبشيرية بالدراسة والتحليل هو . هل كان هدف الحروب الصليبية تحـويل المسلمين للمسيحية ؟ يرد الكاتب براور على هذا بقوله انه مهما كانت ايدلوجية الحملة الصليبيـة الاولى فان الصليبيين في الشرق لم يصبحوا مطلقا مؤسسة تبشيرية • اما اذا نظرنا الى هذه المحاولات

---

(١٤) ibid

(١٥) يقول الله عز وجل « وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ». يونس (٣٧ •

(١٦) Baldwin, Missions to the East, p. 459

الفردية للتبشير سواء بين المسلمين او اليهود ، بل حتى محاولات التوفيق مع المسيحيين الشرقيين لايجاد نوع من الوحدة مع روما، فان الصليبيين فى افضل الحالات لم يكونوا مكترثين بهذه المحاولات، بل فى حالات أخرى عديدة كانوا يعارضونها (١٧) .

ومن ناحية أخرى فان خطبة البابا اربان الثانى فى مؤتمر كليرمون عام ١٠٩٥م لم تشر اطلاقا الى ان الهدف من الحروب الصليبية هو تحويل المسلمين للمسيحية وانما كان الاستيلاء على بيت المقدس(١٨). كذلك فان الخطابات الرسمية الصادرة من البابوية الى رجال الدين المسيحين لم تشر الى هذا الهدف ، كذلك فان أيا من هذه الجماعات الرهبانية العسكرية التى تاسست فى الشرق سواء كانت الاسبتارية أو الداوية او التيوتون لم تشمل بنودها على أية شروط لقيام اعضائها بمهمة التبشير بالمسيحية (١٩) .

---

(١٧) J. Praver, Crusader Instiutions, Oxford 1980, p. 210

(١٨) عن مناقشة ما ورد فى هذه الخطبة أنظر :
J. La Monte, Crusade and Jihad, in The Arab Heritage, ed. by N. A. Faris, New Jersey, 1964, pp. 158 — 198; Kedar, op: cit., pp. 58 — 59.

(١٩) عن قيام هذه الجماعات أنظر : ابراهيم خميس : جماعة الفرسان الداوية ، رسالة ماجستير لم تنشر بعد ، الاسكندرية ١٩٨٠ ، مصطفى الحناوى : تاريخ جماعة الفرسان الاسبتارية ، رسالة ماجستير لم تنشر بعد . الاسكندرية ١٩٨٢ ، حسن عبد الوهاب تاريخ الفرسان التيوتون فى الاراضى المقدسة ، الاسكندرية ١٩٨٩

اما الامثلة التالية للمحاولات التبشيرية فقد وردت غالبيتها في المصادر الغربية مما يجعلنا نكون على حذر عند تناولها ولا تسلم تماما بما جاء فيها لاول وهلة الا بعد التاكد وعمل المقارنات مع المصادر الاخرى • ويدور الخلاف حول موقف احمد بن مروان قائد قلعة انطاكية الذى وافق على تسليمها للامير الصليبى بوهمند فى عام ١٠٩٨م / ٤٩١هـ ، ويشير المؤرخ المجهول وفوشيه اوف شارتر انه وافق على التحول للمسيحية مع رجاله الذين وافقوا على ذلك(٢٠) ولابد لنا من التوقف هنا عند هذه الاشارة • فالمؤرخ المجهول كما يقول ج• فرانس J. France كان يهتم باعمال النورمان (٢١) ، وهو بدون شك يرغب فى اعلاء شان بوهمند ، أما فوشيه فان روايته ينقصها الدقة بسبب وجوده آنذاك فى الرها مع جيش بلدوين وبالتالى لم يكن شاهدا عيانا لأحداث حصار الصليبيين لانطاكية • كما ان المؤرخ ريموند الصنجيلى ام يشر الى هذه المسالة على الرغم من وجوده مع الجيش الصليبى امام انطاكية • غير أن ابن العديم يذكر ان الصليبيين لحقوا سراح أحمد بن مروان ومن معه وأمنوه وسلمها لهم فى الاحد الثانى من شعبان ٤٩٢هـ وانزلوه فى دار بانطاكية واطلقوا اصحابه وسيروا معهم من يوصلهم الى اعمال

---

(٢٠) Gesta Francorum Hierosolimitanorum; ed-by Rosalin Hill, London 1933, p. 72.

(٢١) The Crisis of the First crusade, in Byzantion t. XL., 1970, p: 277.

حلب (٢٢) .غير ان الذي يثير الشك هنا حول موقف احمد بن مروان انزال الصليبيين له فى دار بانطاكية دون بقية اصحابه ، وان كنا ايضا لا نستطيع ان نجزم تماما بتنصره ، لان ابن العديم لم يشر الي ذلك صراحه .

وتختلف أيضا روايتا ريموند الصنجيلى وألبرت اوف اكس حول أحد الاتراك الذى ارتد عن الاسلام اثناء الحملة الصليبية الاولى . فيشير الاول أن بوهمند كان له الفضل فى ذلك وقام باعطائه اسمه ، اما الاخر فيشير الى انه تنصر قبل سقوط انطاكية ولعب دورا فى اخضاعها ، وفى نفس الوقت فانهما لا يختلطا بشخص فيروز الارمينى الذى اسهم بخيانته فى سقوط انطاكية فى قبضة الصليبيين فى عام ١٠٩٨م/٤٩١هـ (٢٣).

ومن أمثلة ما حدث اثناء الحملة الصليبية الاولى عن محاولات فرض المسيحية بالقوة اثناء المعارك ، أشار المؤرخ المجهول ان ريموند بيليه Raymond Pilet (٢٤) خير المسلمين القاطنين حول تل منس فى

---

(٢٢) ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، دمشق ١٩٥١ — ١٩٦٧، ص ٥٠٢ . اما ابن القلانسى فلم يشر الى تنصر احمد بن مروان ، وانما أشار فقط ان سكان انطاكية لجاوا الى قلعتها ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٢٠ .

(٢٣) Kedar, op. cit., p. 62

(٢٤) كان سيدا على مقاطعة فى فرنسا ، ويعرف ايضا بفارس ليموسين

=

يوليو ١٠٩٨م بين المسيحية والموت فمن قبلها يطلق سراحه ومن رفضها فان مصيره القتل (٢٥) • ويروى ابن العديم رواية أخرى مفادها أن جماعة من الفرنج خرجوا فى شعبان ٤٩٢م (صحتها ٤٩١هـ/ زحفوا مع أهل تل منس ونصارى معرة النعمان على المعرة وقاتلوها، فوصل جانب من عسكر حلب اليهم والتقوا بين تل منس فانهزم الفرنج وبقى الرجالة منهم ، فقتل منهم زائد عن ألف رجل ، وحملت الرؤوس الى معرة النعمان (٢٦) • ويتضح بجلاء رفض الاهالى المسيحية أو الاستسلام فاما النصر او الشهادة •

يمم الصليبيون وجههم تجاه بيت المقدس هدف حملتهم الصليبية بعد أن نجحوا فى الاستيلاء على انرها وانطاكية • وفى أثناء حصار الصليبيين للقدس فى يوليو ١٠٩٩م / شعبان ٤٩٢هـ ، ذكر البرت اوف اكس ان بلدوين دى بورج أحد قادة الحملة ومعه عدد آخر من الامراء عرضوا المسيحية على أحد النبلاء المسلمين الذى وقع فى أسرهم ، وقاموا باستجوابه وبعد ان فشلوا فى اقناعه

Liomousin ، اما تاريخ هذه المعركة فكان فى الفترة ما بين ١٤ ــ١٧ يوليو ١٠٩٨م • وتقع تل منس جنوب شرق انطاكية بالقرب من معرة النعمان • انظر : Peter Tudebode, Historia, Philadelphia 1974, p. 22, n: 5, 6.

(٢٥) ibid, cf also: Kedar, op. cit., p. 63

(٢٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، ص ٥٠٢ •

بالمسيحية قاموا بقطع رأسه امام برج داود ـ احد ابراج بيت المقدس (٢٧) •

هذه الرواية التى ينقلها لنا ألبرت اوف اكس ـ والذى لم يكن شاهدا عيانا لها ـ تختلط احداثها مع ما رواه مؤرخ آخر وشاهد عيان هو بطرس تيدبوده • فيذكر انه اثناء حصار القدس أرسل المسلمون احد جواسيسهم للتجسس على الالات الخاصة بالصليبيين فتم القبض عليه • وتم سؤاله ـ عن طريق مترجم ـ عن سبب مجيئه فرد عليهم بانه اراد ان يعلم آلات الحصار الخاصة بهم • فاخذه الصليبيون وهو مقيد ووضعوه فى منجنيق محاولين القائه داخل القدس ولكنهم وجدوا ان ذلك سوف يكون مستحيلا لانه سوف يتمزق اربا قبل ان يسقط بداخلها (٢٨) •

وعلى الرغم من انفراد بطرس برواية الجاسوس هذه ، الا انها تبدو كانها نفس رواية ألبرت عن ذلك الامير المسلم ، ولكن مع اضفاء نوع من التضخيم عليها بجعل قادة الحملة يحاولون نشر المسيحية مما يرفع من قدرهم فى أوروبا •

غير ان كيدار يبدو انه يميل للاخذ برواية ألبرت ، فيشير الى اننا يجب ألا نغفلها ، بسبب وجود خطاب لاحد اليهود المعاصرين للحملة الاولى ، ويرجع تاريخه الى عام ١١٠٠م / ٤٩٣هـ ـ أى بعد

(٢٧) Albert d'Aix, Historia Hierosolymitana; P. 469.

(٢٨) Peter, op. cot:, p. 117

عام واحد فقط من سقوط القدس — ويشير مؤلف الخطــاب الى ان الصليبيين حاولوا « اقناعه بالمسيحية كى يقبلها بمحض ارادته ووعدوه بمعاملة طيبة ، ولكنه قال لهم كيف أصبح كاهنا مسيحيا « كاهنا نصرانيا » واترك فى أمان جانبهم (يقصد اليهود) وهم الذين انفقوا على مبالغ باهظة » (٢٩) ويضيف مؤلفه ، انه على الرغم من ذلك فان بعض الاسرى اليهود قبلوا المسيحية •

وفى الواقع فان لهجة هذا الخطاب تدل على ان ذلك الشخص اليهودى كان يرغب فى التحول للمسيحية ولكنه كان يريد الثمن لذلك، ويتضح هذا من قوله « وهــم (أى اليهود) انفقوا على مبــالغ باهظة » • ومن ناحية أخرى ، هل كان باستطاعته هو واليهود فعل شىء بعد هذه المذبحة المروعة التى حدثت لجميع سكان القدس — سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين أو يهــود — عند اقتحــام الصليبيين للقدس فى عام ١٠٩٩م • وقد افاضت فى ذلك جميع المصادر من غربية او شرقية •

وعلى الرغم من اهتمام الباحثين بهذه الحالات الفردية التى وردت فى المصادر الغربية عن بعض المرتدين ، الا ان ايا منهم لم

---

(٢٩) عثر على هذا الخطاب فى الوثائق الخاصة بجنيزة القاهرة ،ونشره جويتين مع خطاب أخر بالعبرية • وتوجد ترجمة له بالفرنسية نشره كلود كاهن فى C. Cahen, Orient et Occident au temps des Croisides, Paris, 1983, pp: 224 — 25

يشيروا الى ما حدث اثناء الحملة البيزنطية الصليبية المشتركة على بلاد الشام فى عام ١١٣٨م / ٥٣٢هـ وكانت بقيادة الامبراطــور البيزنطى حنا كومنين (١١١٨ — ١١٤٣م) (٣٠) ٠

ففى اثناء زحف هذه القوات على مدينة حلب مرت بحصن بزاعة (٣١) وذلك فى ١٨ ابريل ١١٣٨م / ٢٥ رجب ٥٣٢هـ ٠ وبعد حصار دام حوالى سبعة ايام قرر أهله التسليم بعد ان توثقوا من من الصليبيين والبيزنطيين بالعهود والايمان ٠ ولكنهم غدروا باهله « وتنصر قاضى بزاعة وجماعة من الشهود وغيرهم تقدير اربعمائه نفس » (٣٢) ٠

وفى اشارة المصادر الاسلامية عن هذه الحادثة لم تدن قاضى المدنية ومن معه ، وعلى الارجح انه استخدم مبدأ التقية وذلك حتى يتخلص من هذا المازق (٣٣) ٠ والدليل على ذلك ان سيف الدين سوار

---

(٣٠) Anonymous Syriac Chronide, The First and Second Crusades, Journal of The Royal Asiatic Society, London 1933, II pp. 278 — 79; William of Tyre, op. cit., II, 14. 15, pp: 92 — 95:

(٣١) بلدة من اعمال حلب فى وادى بطنان بين منبج وحلب ، انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ١ ص ٤٠٩ ٠

(٣٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٤١٦ ، ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ٠ ص ٣٥٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ص ٥٨٨ ٠

(٣٣) ورد هذا المبدأ فى القرآن الكريم « من كفر بالله من بعد ايمانه الا من

=

ابن ايتكين تمكن من اطلاق سراح امرى بزاعة الذين تركهم البيزنطيون وراءهم اثناء زحفهم على حلب (٣٤) • وفي الواقع انهم لو استمروا على نصرانيتهم لاستغلت المصادر الصليبية هذا فى التشنيع بالاسلام وأهله بدلا من هذه الحالات الفردية السابقة التى تهلل لها وتحاول أن تضخمها •

وبخلاف محاولات نشر المسيحية عن طريق القوة اثناء المعارك ،

=

اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم » النحل (١٠٦) • ويروى لنا ابن عباس ان سبب نزول هذه الاية كانت فى عمار بن ياسر • ويذكر ابن كثير فى شرحه لهذه الاية ان المكره على الكفر يجوز له ان يوالى ابقاء لمهجته ، ويجوز له أن يابى كما كان بلال رضى الله عنه يفعل ، وكذلك الصحابى الجليل حبيب بن زيد الانصارى عندما حاول مسليمة الكذاب اجباره على الشهادة له بان رسول والافضل والاولى ان يثبت المسلم على دينه ولو افضى الى قتله • كما ورد فى ترجمة الحافظ بن عساكر عن الصحابى الجليل عبد الله بن حذافة السهمى مع ملك الروم ولكنه ابى على الرغم من وسائل التعذيب المختلفة التى لاقاها • وعندما بكى اعتقد ملك الروم انه ضعف عرض عليه النصرانية مرة ثانية ، غير انه رد عليه بانه بكى لان له نفسا واحدة ، وكان يرغب ان يكون له بعدد كل شعرة فى جسده نفسا تعذب هذا العذاب فى الله • انظر : مختصر تفسير ابن كثير : اختصار وتحقيق محمد على الصابونى ، ببيروت ١٩٨١ ، المجلد الثانى ، ص ٣٤٨ ـ ٣٤٩ •

(٣٤) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ٤١٦ ، ابن العديم : المصدر السابق ، ص ٥٨٨ •

حاول بعض الصليبيين استخدام مجال آخر للتبشير بها وذلك بين العبيد المسلمين فى مقابل حصولهم على حريتهم •فحسب قوانين مملكة بيت المقدس كان العبد المسلم الذى يتحول للمسيحية يحصل على حريته (٣٥) • ومثال ذلك ما حدث اثناء الحملة الصليبية عندما استولى ريتشارد قلب الاسد وفيليب اوغسطس على عكا فى يوليو ١١٩٢م ، أمرا باطلاق سراح العبيد المسلمين الراغبين فى التحول للمسيحية • ولكنهم سارعوا بالفرار الى معسكر صلاح الدين الايوبى ، فامر اركان بعدم تحويل عبيد جدد الى المسيحية (٣٦) •

وعلى الرغم من هذا الحق القانونى للعبيد المرتدين بالحصول على حريتهم ، الا أن السادة الصليبيين — سواء كانوا علمانيين أو دينيين — منعوا هذا التحول لما يسببه ذلك من خسارة لهم ، بل انهم عرقلوا الدعاة عن أداء عملهم • ولا شك ان لذلك دلالته فمصلحتهم المادية غلبت عليهم فى الوقت الذى استغلوا فيه الدين لاخفاء هـذه المطامع • وحاول البابا جريجورى التاسع (١٢٢٩ — ١٢٤١م) معالجة هذه المسالة فى خطاب ارسله فى ٢٨ يوليو ١٢٣٧م الى جريولد بطريرك بيت المقدس الاسمى ومقدمى الجماعات الرهبانية العسكرية الثلاثة فاشار الى أنه « نما الى علمنا ان العبيد الذين يقبلون التعميد

(٣٥) Jean-Riehard, The Latin Kingdom of Jerusalem, translated From French by. J: Shively, 2 Vols. Amsterdam, 1979, p. 132.

(٣٦) Roger of Hovden, Annals, pp: 66 — 76.
Cf.also: Kedar, op. cit., pp. 146 — 147

بنية الحصول على حريتهم طبقا لعادة البلاد (الاراضى المقدسة) فانه يتم رفضهم ، بل ان بعض السادة ومنهم رجال دين يمنعون عبيدهم عن التحول للمسيحية ، لانهم ببساطة يفقدونهم » (٣٧) •

وحلا لهذه المشكلة أمر جريجورى هؤلاء السادة ، بان العبد الذى يرغب فى التحول للمسيحية يتم له ذلك ، ولكنه عليه ان يفهم ان حصوله على الحرية لا يعنى خروجه عن طاعة سيده ، وان يتم له السماح بحضـــور القداس فى الكنيســـة وان يعامل معاملة حســـنة (٣٨) •

وفيما يبدوا ان هذا الخطاب لم يحل هذه المشكلة لاننا نجد مرسوما آخر يسمى « مرسوم يافا » • وأصدر هذا المرسوم المندوب البابوى أدو دى شاترو فى يناير ١٢٥٣م بشان نفس الموضوع • وقد هدد أدو باصدار قرار الحرمان على السادة الاقطاعيين الذين لا يسمحون لعبيدهم بالتحول واطلاق حريتهم ، واعلن انه يجب قراءة هذا المنشور فى الكنائس مرتين فى العام وان يســـجل فى سجلاتهم وبذلك لن يستطيع أحد تجاهله (٣٩) •

---

(٣٧) Cartulaire Général de l' ordere des Hospitaliers S. Jean de Jerusalem (1100 — 1310), Par Dediaville le Rowx, (Munchen, 1980), no. 2168, pp. 513 — 514:

(٣٨) ibid; cf. also: Praver, Crusder Institutions, p. 210

(٣٩) Kedar, Eeclesiastical Legislation in kingdom of Jerusalem, The Statutes of Ja ffa (1253) and Acre (1245) in Crusade and Settelment, ed. P. Edbury, Cardiff-985, p. 226

هذه المحاولات من جانب الصليبيين لاغراء العبيد المسلمين بالفرار اليهم وتحويلهم للمسيحية فى مقابل حريتهم ، وبما كانت أحد الدوافع التى جعلت السلطان المملوكى الظاهر بيبرس يشترط فى معاهدة له مع اسبتارية حصن الاكراد والمرقب فى عام ١٢٦٧م/ ٦٦٥هـ ، شرطا يحمى بـه الفلاحـين المسـلمين فى المنـاطق ذات المناصفات بينهما فذكر « وان يكون الفلاحون الساكنون فى بلاد المناصفات جميعها مطلقين من السخر من الجانبين » « وعلى ان يحكم فيه بشريعة الاسلام ان كان مسلما (يقصد الجزء التابع للمسلمين) ، « وان كان نصرانيا يحكم فيه بمقتضى دولة حصن الاكراد » (٤٠) .

وفى معاهدة أخرى بين السلطان المملوكى المنصور قلاوون وابنه على مع حكام الفرنج بعكا فى عام ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م اشترط عليهم « وعلى انه متى هرب أحد — كائنا من كان — من بلاد السلطان وولده الى عكا والبلاد الساحلية المعينة فى هذه الهدنة ، وقصد الدخول فى دين النصرانية وتنصر بارادته ، يرد جميع ما يروح معه ويبقى عريانا ، وان كان يقصد الدخول فى دين النصرانية ولا يتنصر ، رد الى ابوابهما العالية بجميع ما يروح معه بشفاعة ثقة بعد ان يعطى الامان » (٤١) .

---

(٤٠) القلقشندى : صبح الاعشى فى صناعة الانشا ، جـ١٤ ، ص ٣٢–٣٣.

(٤١) نفس المصدر ، ٥٩ — ٥٧ . وعن دراسة لهذه المعاهدة وبنودها

=

وكانت أخطر المحاولات التبشيرية ، تلك التى قام بها جاك دى فيتري أسقف عكا (١٢١٦ — ١٢٤١م) • ويرجع خطورتها الى انها تمت بين الاطفال المسلمين • ففي اثناء الحملة الهنغارية على بلاد الشام والتى كانت بقيادة اندرو الثانى ملك هنغاريا قام جاك دى فيترى باقناع الصليبيين باعطائه الاطفال المسلمين الذين تم أسرهم اثناء الغارة على بيسان وحصن جبل الطور فى الفترة من اكتوبر — ديسمبر ١٢١٧م / رجب — شعبان ٦١٤هـ ، وقام بتسليمهم الى راهبات عكا لكي يقمن بتعليمهن المسيحية [٤٢] •

ويتكرر نفس الاسلوب مرة أخرى اثناء الحملة الصليبية الخامسة على مصر • فعقب استيلاء الصليبيين على دمياط فى ٥ نوفمبر ١٢١٩م / ٢٥ شعبان ٦١٦هـ ، طلب جاك منهم الاطفال المسلمين الدين كانوا بها وحصل عليهم اما عن طريق الشراء أو التوسل وقام بتعميدهم • غير أن القدر يتدخل ويموت خمسمائة من هؤلاء الاطفال — لسبب لم توضحه المصادر — وأرسل الباقى الى اصدقائه لكى يلقنوهم المسيحية [٤٣] •

=

انظر : حسن عبد الوهاب : تاريخ جماعة الفرسان التيوتون ، ص ٣٢٣ — ٣٢٦ • اما عن قضية المملوك التابع لجمال الدين اقوش الرومى والذى فر الى صاحب صور ، وكذلك البنت التى تم تنصيرها راجع : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر ، تحقيق عبد العزيز الخويطر ، الرياض ١٩٧٦ ، ص ٢٤٧ •

(٤٢) Oliver of Padenborn, The Capture of Damietta, p. 16

(٤٣) Lettres de Jacques des Vitry, ed. R. B. C. Huygens,

=

ولا شك ان هذا الاسلوب يعتبر من أخطر اساليب التبشير التى أتبعت وكان من الممكن ان يؤدى الى نتـائج خطيرة لم تحققهـا الاساليب الاخرى فى التبشير بالمسيحية سواء اثناء المعارك أو بين العبيد أو الطبقات الاخرى غير انه بحاجة الى معارك وحروب ينتج عنها انتصارات للصليبيين ويحصلوا على الاسرى خاصة من هؤلاء الاطفال ولم يكن هذا ليتحقق بعد أن مال الميزان لصالح المسلمين فى صراعهم مع الصليبيين منذ معركه حطين ١١٨٧م / ٥٨٣هـ ٠

وترد اشارات مختلفة عن محاولات نشر المسيحية بين الحـكام والامراء المسلمين٠وأول اشارة عن ذلك ترد لدى ألبرت اكس حيث اشار الى ان الصليبيين عرضوا المسيحية على كربوغا حاكم الموصل أو الدخول فى معركة معه وذلك أثناء تقدم الحملة الصليبية الاولى كما ذكر ان تانكرد أمير الجليل عرض المسيحية على دقائق صاحب دمشق عندما ارسل ستة من الفرسان الصليبيين اليه ٠ ولكن دقاق قام بشنق خمسة منهم وفضل السادس اعتناق الاسلام ٠ وترد اشارة ثالثة أيضا عن حاكم الرملة الفاطمى ــ دون أن نعرف اسمه

=

Ledien 1960, no. VI, pp. 123 — 134; Oliver, op. cit. pp: 48 — 54

ويشير تاريخ بطاركة الكنيسة ، انه عند سقوطدمياط كان بهـا الاطفال ، » وذكر المحققون ان باب الثغر اغلق على ستة واربعين الف رجل خارجا عن النساء والصغار » ـ انظر : كيرلس الثـالث (ابن لقلق) : تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ، قام على نشره دكتور انطون خاطر ودكتور ازولد بورمستر ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص ٣٢ ، محمود سعيد عمـران : الحملة الصليبية الخامسـة الاسكندرية ، ص ٢٨٣ ٠

— قام بمشاركة حلفائه من الصليبيين فى معركة عسقلان ١٠٩٩م/٤٩٢هـ بعد ان نجح جودفرى دى بوايون فى اقناعه بالمسيحية (٤٤) •

وفى الحقيقة فان انفراد ألبرت بهذه الاشارات يجعلنا نكون على حذر عند التعرض لها ، خاصة وانه ينقل عن العائدين من الحملة الاولى والذين كانوا يرغبون فى اضفاء طابع البطولة على اعمالهم •

كذلك ترد اشارة عن الامير ناصر الدين نصر بن عباس الذى وقع فى أسر الداوية فى يونيو ١١٥٤م / ربيع أول ٥٤٩هـ بعد أن ابلغتهم اخت الخليفة الظافر بامره حتى تنقم لمقتل أخيها (٤٥) • ويذكر وليم الصورى انه رغب فى التحول للمسيحية وبدأ فى تعلم الحروف اللاتينية ولكن الداوية فضلوا اعادته لوالده وحصلوا على ستين الف دينار بدلا من قبوله فى المسيحية (٤٦) • وفى اعتقادنا

(٤٤) Albert d' Aix, p: 469, cf, also: Kedar, Crusader Mission, P. 63.

سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ١ ، ص ١٣٦ •

(٤٥) اسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ٢٧ ، ابن ميسر : المنتقى من أخبار مصر ، تحقيق ايمن فؤاد سيد ، القاهرة ١٩٨١ ، ص ١٤٧ — ١٤٨، المقريزى : اتعاظ الحنفا بذكر الائمة الفاطميين الخلفا ، جـ٣ ص ٢١٧ — ٢٢٢ •

(٤٦) William of Tyre, op. cit., vol. II, p. 253

وأخطأ وليم فى الاشارة انه تم اعادة نصر لوالده — الذى كان قد قتل فى المعركة مع الداوية ، وتمت اعادة نصر الى أخت الخليفة

=

ان نصر كان على علم بما يجرى من محـــاولات لاعادته الى مصر للانتقام منه فعبر عن رغبته هذه لكى يتمكن من التخلص من هذا المــازق •

واشارت بعض الحوليات الالمانية الى ان بعض سفراء صلاح الدين الايوبى أو سلطان قونيه (ربما قلج ارسلان) عرضوا على فردريك بربروسا الامبراطور الالمانى أن يزوج ابنته من ابن صلاح الدين الايوبى أو من سلطان قونيه نفسه وذلك فى مقابل تحـــول الممالك الاسلامية الى المسيحيـــة على حد زعمها (٤٧) — وفى الواقع فان المصادر الاسلامية لم تشر الى هذه الرواية ، والتى تتعارض بدون شك مع سياسة الجهاد التى اعلنها صلاح الدين ، وهى أيضا نوع من اعلاء شان الامبراطور الالمانى من جانب هذه الحوليات •

وفى اثناء الحملة الصليبية الثالثة اشار ابن شداد الى انه اثناء التفاوض بين صلاح الدين الايوبى وريتشارد قلب الاسد

=

الظافر لكى تنقم لقتل أخيها على يديه • ويعطى لنا المقريزى وصفــا لقتله على يد الجوارى وهو محبوس فى قفص • أنظر : اتعاظ الحنفا ، جـ٣ ، ص ٢٢٠ — ٢٢١ •

R: Rohricht, Geschichte des Konigeriches Jerusalem, p. 282.

وكذلك ابراهيم خميس العلاقات السياسية بين جماعة الفرسان الداوية والمسلمين فى مصر والشام (١١٩٣ — ١٢٩١م) الاسكندرية ١٩٨٣ ، ص ٤٩ •

(٤٧) Chronica Regia Coloniens, in MGH., Scr. rer. Germ., 18, p. 124.

عرض مشروع زواج سيف الدين العادل اخو صلاح الدين من جوانا أخت رتشارد وأرملة ملك صقلية السابق • ولكنها رفضت • غير ان ريتشارد قال « ان كان الملك العادل يتنصر فانا أتمم ذلك » (٤٨) • ولاشك ان هذا المشروع الذى أعتبره البعض نوعا من المزاح ، كان من الوسائل التى استغلها صلاح الدين لاضاعة الوقت أثناء مفاوضاته مع ريتشارد من أجل الاستعداد لمعركة قادمة أو اعطاء عساكره فسحه من الراحة بعد طول القتال •

اما لقاء السلطان الايوبى الكامل محمد مع فرانسيس الاسيزى الذى يقال انه عرض عليه المسيحية فتختلف آراء المؤرخين حوله• ويروى ان فرانسيس طلب من المندوب البابوى بلاجيوس الذهاب لمقابلة السلطان ، ولكنه رفض فى البدايـــة ثم وافق بعد ذلك • وذهـــب الى معســكر الســلطان ولــم يفهــم منــه ســوى كلمة « صلدان » أى السلطان • وبعد أن مثل امامه سمح له بالتحدث ثم صرفه دون ايذائه بعد ان اوصاه فرانسيس بحسن معاملة من لديه من الاسرى • وبعد أن فشل فرانسيس سواء فى اقناع الكامل محمد بالمسيحية أو اقناع القادة الصليبيين بقبول عروض الصلح ، اتجه الى بلاد الشام وهو غاضب على الصليبيين بسبب ما انتشر بينهم من مفاسد (٤٩) •

---

(٤٨) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١٩٥ •

(٤٩) Kedar, Cruader Mission, p: 123; Runciman, History of the The Crusades, 3 vols., London 1977 vol: 3, p: 159

وكذلك محمود سعيد عمــران : المرجع الســابق ، ص ١٩٤ وما بعدها •

وفى اعتقادى ان هذه الرواية يمكن قبولها نظرا لما أتصف به الكامل محمد من دبلوماسية وصلت ذروتها فى علاقته بالامبراطور فردريك الثانى (١٢١٥ — ١٢٥٠م) ، وكذلك محاولاته اجلاء الصليبيين عن دمياط بالطرق السلمية الى جانب جهاده العسكرى (٥٠)

وبعد ان استعرضنا هذه المحاولات السابقة يظهر تساؤل هام هل كان لهؤلاء المرتدين دور فى المعارك ضد المسلمين ؟

أشار فوشيه اوف شارتر عند حديثه عن غارة قام بها الصليبيون فى نوفمبر ١١٠٠م على منطقة بالقرب من البحر الميت الى « مواطنى المنطقة الذين كانوا قبل ذلك مسلمين ولكنهم أصبحوا الان مسيحيين » (٥١) •وقدم له هؤلاء النصيحة عند قدومه لهذه المنطقة• هذه الاشارة من جانب فوشيه تتعارض مع رواية أخرى ذكرت ان بلدوين الاول ملك بيت المقدس عندما وجد ان القدس تعانى من نقص فى السكان قام بتهجير عدد كبير من المسيحيين الشرقيين من مواطنى هذه المنطقة واسكنهم أحد أحياء القدس (٥٢) • وهذه الرواية تدل

---

(٥٠) حسن عبد الوهاب : تاريخ الفرسان التيوتون ، ص ١٩٤ ومابعدها

(٥١) Fulcher de Chartres, op. cit., p. 144:

(٥٢) Prawer, The Settlement of the Latins in Jerusalem, Speculum, 27, 1952, p: 493

وللدلالة ايضا عن ان المسيحيين اليعاقبة كانوا يقيمون فى بعض القرى فى هذه المنطقة بالقرب من البحر الميت • ذكر المؤرخ مارتين

=

على انهم فى الاصل من المسيحيين الشرقيين وليسوا من المسلمين المرتدين •

ويشير وليم الصورى الى أحد المسلمين المرتدين فى بلاط بلدوين الاول حتى أنه صار حاجبا له • ولكنه قبض عليه بسبب اشتراكه مع اهالى صيدا فى محاولة دس السم لبلدوين ، فقام بشنقه • (٥٣) • ثم يشير مؤلف مجهول الى شخص آخر يسمى ماخوموس Machomus كان قد وقع فى الاسر وتم تعميده حتى أصبح فى عام ١١١٢م مسئولا عن بيت المقدس أثناء غياب بلدوين فى حملة ، ويضيف هذا المؤلف المجهول ان معرفة هذا الرجل باللغة العربية مكنته من اكتشاف مؤامرة لغزو القدس (٥٤) • وفى الواقع ان هذه الرواية بذا نوع من المبالغة الواضحة • فليس من المعقول

=

انه قبيل استيلاء الصليبيين على القدس هرب بعض من هؤلاء اليعاقبة متجها الى مصر وأقام البعض الاخر فى هذه القرى القريبة من البحر الميت ، ثم عاد بعضهم مرة اخرى اليها فى الفترة ما بين عامى ١١٠٤ — ١١٣٧م بعد الدراسة التى قدمها لنا فى مقالته • انظر :
J.P: Martin, Les Premiers princes croisés et les Syriens Jacopites de Jeyusalem, in Journal Asiatique, 1888, Ser 8, 12; p. 477.

(٥٣) William of Tyre, op. cit., xi, 14.

(٥٤) يرى كيدار انه يتطابق مع والتر محمد Walter Mahumeth سيد الخليل ، والذى اشار اليه البرت اوف اكس فى عام ١١٠٧م انظر : Kedar, Crusadeé Mission, p: 75, Rohricht, Geschichte, p. 69.

ان يعهد بلدوين لاحد المسلمين المرتدين بامر القدس خاصة وانه لم يمر سوف فترة قصيرة عن المؤامرة التى اتهم فيها ذلك المسلم المرتد السابق • ومن ناحية اخرى لم يذكر فوشيه والذى كان مصاحبا لبلدوين الاول — كماذكر هو بنفسه — الى هذه المؤامرة او ان هناك حملة تمت فى الصحراء فى ذلك التاريخ (٥٥) •

ويرى جان ريتشارد ان المرتدين لعبوا دورا هاما فى الجيش الصليبى وان اعدادا كبيرة منهم كانت ضمن الفرسان خفيفى الحركة أو ما يسمى بالتركوبول Turcopol ، ويدلل على ذلك بالقائمة الطويلة التى وردت فى بعض الوثائق الصليبية عن اسماء حملها بعضا منهم مثل موسى العربى وجورج وبطرس وغيرهم ، ويرى ان غالبيتهم كانوا من المرتدين وبعضهم من المسيحيين الشرقيين (٥٦) •

غير أن الرأى بحاجة للتوقف عنده ومناقشته • فالتركوبول هى فرقة بيزنطية فى الاصل ونقل الصليبيون فكرتها اثناء مرورهم ببيزنطة فى الحملة الصليبية الاولى كما تشير المصادر الصليبية نفسها (٥٧) • ويدلل كيدار على انهم من المرتدين بما ينقله عن أبو شامة • ففى معرض حديثه عن انتصار صلاح الدين على الصليبيين

---

(٥٥) Fulcher of Chartres, op. cit., II pp. 202 — 203

(٥٦) Jean-Richard, op. cit., pp: 140 — 41

(٥٧) Raymond d' Aguilers, Historia Francorum qui Ceperunt Iherusalem, trans with introduction and notes by. J. Hill., and L. L. Hill, Philadelphia, 1968, p. 37.

فى عام ١١٧٩م عند مخاضة بيت يعقوب أو حصن الاحزان ، أمر صلاح الدين باعدام المرتدين ورماة السهام (٥٨) • ويستخدم هذه الاشارة التى اوردها ابو شامة ومعه جان ريتشارد بان التركوبول من المرتدين • وفى الواقع بعد فحصنا للمصادر العربية فى هذه الفترة وردت أشارة عن هؤلاء التركوبول • فيذكر العماد الاصفهانى اثناء غارة على بيسان فى ٥٧٩هـ ان الصليبيين قدموا فى « الف وخمسمائة رمح ومثله تركبى » (٥٩) • فمن الصعب تصديق ان يكون مثل هذا العدد من المرتدين • كما يذكر كلود كاهن أن بعض المسيحيين الشرقيين يحملون اسماء عربية او سريانيـــة ، مما يدل على ان الاسماء التى اشار اليها جان ريتشارد لا تدل على انهم من المرتدين بل ان كيدار عاد وذكر فى الحاشية بانه من الطبيعى ألا يكونوا جميعا من المرتدين (٦٠) •

اما المحاولات التبشيرية التى شهدها القرن الثالثعشر الميلادى/ السابع الهجرى فقد اتخذت شكلا منظما بقيام جماعتى الفرنسسكان

---

(٥٨) يقول ابو شامة « وجى بالاسارى الى السلطان فمن كان مرتدا او راميا ضربت عنقه » الروضتين ، جـ٢ ، ص ١١ •

(٥٩) البرق الشامى ، الجزء الخامس ، تحقيق وتقديم فالح صالح حسين ط • اولى الاردن ١٩٨٧ ، ص ١٤٨ •

(٦٠) C. Cahen, Un, document concernant les Melkites et les Latins d' Antioche au temps des Croisades, in Revue des etudes Byyantines, 1971, xxix, pp. 285 -- 92., Kedar, op. cit., p: 76:

والدومنيكان بتأسيس مراكز لهما فى الاراضى المقدسة • وأخذ البابوات فى ارسال الرسائل الى هؤلاء المبعوثين والحكام الشرقيين يطلبون فيها توفير الحماية لهم (٦١) • ولن ندخل فى تفاصيل هذه المحاولات التى تناولها مارشال بندوين فى مقالته • ولكن يهمنا هنا الاسباب الى أشار اليها فى معرض حديثه عن اسباب فشل هذه الارساليات • يقول انه من الواضح ان هذه البعثات بين المسلمين فى الشرق نادرا ما حققت النجاح ، وذلك لان معظمها لم يتم له الاعداد جيدا » • ويعدد بعد ذلك اسباب الفشل الاخرى منها معارضة السلطات الاسلامية التى كانت السبب الاساسى فى نظره لفشل هذه المحاولات ، بالاضافة الى الرأى العام الاسلامى الذى اذداد قوة ضد الصليبيين الذين حاولوا كسب التتار ضد المسلمين • كذلك ضياع الامارات الصليبية فى الشرق افقدهم المراكز التى كانوا يتحركون من خلالها (٦٢) •

---

(٦١) انظر هذه المراسلات فى :

R. Rohricht, zur Korrespondenz der Papste mit dem Sultanen und Mongolkanen des Morgenlandes in zeitalter der Kreuzzuge Theologischen Studien und Kritiken, Lxix, (1891) 357 — 369.

Karl — Ernst Lupprian, Die Beziehungen der papste zu Islamischen und Mongolischen Herrschen in 13 Jahrhundert anhand ihres Briefwechsels, Vaticana 1981,

(٦٢) Baldiwn, op: cit., pp: 464 — 65

وفى الواقع ان هذه ليستهى الاسباب الحقيقية لفشل هذه المحاولات ، فلو فهم هؤلاء المبشرون حقيقة الدين الاسلامى لما حاولوا القيام بمحاولاتهم هذه والتى كانت النتيجة الطبيعية لها هى الفشل • فالمؤمن الحق يدرك ما فى الاسلام بعد أن اختاره عن عقيدة وايمان ، وهو يعلم تماما قول الحق عز وجل « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الاخرة من الخاسرين »(٦٣)• وأوضح الله عز وجل فى مواضع كثيرة ما أصاب الديانات الاخرى من تحريف وكفر بالله ، فمنهم من ادعى ان له له ولد أو انه ثالث ثلاثة (٦٤) — وحاشى لله وننزه عن ذلك كله • فاذا دخل الانسان فى الاسلام فلا رجعة فى ذلك ، وعقاب الاسلام للارتداد واضح اذا أصر المرتد على موقفه وهو القتل • فلا شك ان فهم المسلم لدينه هو الاساس الذى تكسرت عليه هذه المحاولات التبشيرية •

نخرج من عرضنا لهذه الموضوع الحيوى بنتائج عديدة يصعب حصرها ، منها : ان هذه المحاولات تمت فى عصر ضعف فيه المسلمون واستغل اعدائهم ذلك فانقضوا على بلاد الشام وحاولوا غزو مصر عدة مرات • وفى ظل هذا الاحتلال جرت هذه المحاولات التبشيرية ومن هنا يجب على جميع المسلمين توحيد الصف بدلا من الفرقة والخلاف •

---

(٦٣) آل عمران (٨٥) •

(٦٤) انظر الايات المختلفة فى : النساء : ١٧١ ، المائدة : ٧٢ ، ٧٣ ، آل عمران : ٥٩ ، مريم : ٨٨ — ٩٥ • وغيرها •

الاهتمام بحالة المسلمين الاقتصادية ورفع مستواهم المادى يدفع عنهم الوقوع فى براثن هؤلاء الدعاة . فقد استغل بعضهم الحالة الاقتصادية لبعض فئات المسلمين فانشاوا منزلا يقدم فيه المأوىء والطعام لهؤلاء الفقراء . ثم يعرضون عليهم المسيحية . ومن هنا فان الاهتمام بهذه الطبقات الفقيرة من العوامل الهامة لمحاربة هذه المحاولات التبشيرية .

كذلك فان تقوية عقيدة المسلمين بمزيد من الفهم للدين الاسلامى الحنيف يكون درعا واقيا امام هذه الغزوات التبشيرية ويوقفها دون تعصب ، فالمسلم الواعى لدينه والواثق بعقيدته هو السبيل الوحيد لوقف هذه المحاولات .



قائمـــة بالمصـــــادر والمراجـــع

أولا : المصـــادر الاجنبية :

— Albert d' Aix, Historia Hierosolymitana, ed. R.H.C. H-occ:,IV, Paris 1879, pp. 264 — 713

— Anonymous Syriac Chronicle, The First and Second Crusades, Journal of the Royal Asiatic Society., London 1933,

— Cartulaire Géntral de l' Ordere des Hospitaliers S. Jean de Jerusalem (1100 — 1310), par Deliaville le Roulx, (Munchen, 1980.

— Fulcher of Chartres, A History of The Expidition to Jerusalem (1095 — 1127) trans, by Franees Rita Ryan (Sisters of St. Joseph) ed. with An introduction by H. S. Fink ; Konsville, 1969

— Gesta Francourum Hierosolimtanorum, ed. by Rosalind Hill, The Deeds of the Francs and the other Pilgrims to Jerusalem, London 1933,

— Guibert de Nogent, Gesta Dei Per Franco s, in R.H.C. H—Occ, Vol: IV:

— Jacques de Vitry, Lettres de Jacques de Vitry, ed: R: B. C. Huygens, leiden 1960.

— Oliver of Padenborn, The Capture of Damietta, trans. by John, J. Gavian, Philadelphia, 1948:

— Peter Tudbode, Historia, Philadelphia 1974:

— Raymond d' Aguilers, Historia Fromcorum qui ceperunt Iherusalem, trans. with introudetion and notes by J. H: Hill, and L.L. Hill; Philadbphia 1968.

— Roger of Hovden, Annals, Conprising History of England and other Countries of Europe from A. D. 732 to A. D. 1201: trans from the Latin wilh notes and illustrations by Henevg T. Riley 2 vols: Rondon 1883.

— William of Tyre, A History of Deeds done beyond the Sea, 2 Vols: Ttrans by E. Stwar Babock and A: C. Krey, New york 1943.

ثانيا : المصادر العربيـــة :

ـ القران الكريم

ـ ابن الاثير : (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م) ابو الحسن على بن ابى الكرم :
الكامل فى التاريخ ، ٩ جـ ـ بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ٠

ـ ابن خـــلدون (عبد الرحمن بن محمد) ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م ٠
العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ١٣جـ ، بيروت ١٩٨٣م ٠

ـ ابن شداد (ت ٦٣٢هـ/١٢٣٨ ـ ١٢٣٩م) بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافـــع :

النوادر السلطانية رالمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين ، تحقيق د٠ جمال الدين لشيال ، ط٠ أولى القاهرد ١٩٦٤ ٠

ـ ابن عبد الظاهر (ت٦٩٢هـ/١٢٩٢م) محى الدين :
الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر ، تحقيق د٠ عبد العزيز الخويطر ـ الرياض ١٩٧٦ ٠

ـ ابن العديم (ت٦٦٠هـ/١٢٦٢م) كمال الدين ابى القاسم عمر بن احمد بن هبه الله :
زبدة الحلب من تاريخ حلب ، نشر وتحقيق سامى الدهان ـ ٣ جـ ـ دمشق ١٩٥١ ـ ١٩٦٧ ٠

ـ ابن عذارى المراكشى (ابو عبد الله محمد) ت بعد عام ٧١٢هـ/١٢١٢م:
البيان المغرب فى أخبار الاندلس والمغرب ، ٤ جـ ، تحقيق ومراجعة ج٠س٠ كولان وا٠ ايمى بروفنسال ، ط، ثانية بيروت ١٩٨٠ ٠

ـ ابن القلانسى (ت٥٥٥هـ /١١٦٠م) ابو يعلى حمزة المعـــروف بابن القلانس :

ذيل تاريخ دمشق ، دمشق ١٩٨٢ .

ـ ابن كثير : (ت٧٧٤هـ/١٣٧٣م) :
مختصر تفسير ابن كثير ، اختصار وتحقيق محمـــد على الصابونى ، ٤ جـ ـ بيروت ١٩٨١ ٠

ـ ابن ميسر : (ت٦٧٧هـ / ١٢٧٨م) تاج الدين محمد بن يوسف راغب :
المنتقى من أخبار مصر ، انتقاه تقى الدين احمد بن على المقريزى، نشر د٠ أيمن فؤاد سيد ، القاهرة ، ١٩٨١ ٠

ـ ابو شامة (ت٦٦٥هـ/١٢٦٧هـ) شهاب الدين محمد عبد الرحمن بن اسماعيل ابن ابراهيم المقدس :
الروضتين فى اخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ٢جـ ـمطبعة وادى النيل القاهرة ١٢٨٧ ـ ١٢٨٨هـ ٠

ـ أسامة بن منقذ (ت٥٨٤هـ / ١١٨٨م) مؤيد الدولة ابو المظفر :
كتاب الاعتبار ، نشر فيليب حتى ، برنستون ١٩٣٠ ٠

ـ العماد الاصفهانى الكاتب (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م) عماد الدين محمد بن حامـــد :
البرق الشامى ، الجزء الخامس ، تحقيق وتقديم د٠ فالح صالح حسين ، الاردن ١٩٨٧ ٠

ـ القلقشندى (ت٨٢١هـ / ١٤١٨م) ابو عبد الله زكريا بن محمـــد بن محمـــود :
صبح الاعشى فى صناعة الانشا ، ١٤ جـ ، القاهرة ١٩١٣ ١٩٢٠م ٠

ـ كيرلس الثالث (ابن لقلق) (١٢١٦ ـ ١٢٤٣م) :
تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ، قام على نشره دكتور انطون خاطر ودكتور ازولد بورمستر ، القاهرة ١٩٧٤ ٠

ـ المقريزى (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢هـ) تقى الدين ابو العباس أحمد :
اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا ، جـ١ نشر وتحقيق

د٠ جمال الدين الشيال ، جـ٢ ـ ٣ نشر وتحقيق د٠ محمد حلمى احمد ، القاهرة ١٩٤٣ ـ ١٩٧١ ٠

ـ ياقوت الرومى الحموى (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله شهاب الدين : معجم البلدان ، ٥ اجزاء ، بيروت ١٩٧٠ ٠

ثالثا : المراجـــع الاجنبية :

M.W. Baldwin, Missions to the East in the Thirteenth and Fourteenth Centuries, in Setton (ed). History of the Crusades, vol. V, Philadelphia 1985.

C. Cahen, 1- Orient et Occident au temps des Croisades, Paris 1983.
2 - Un document coneernant les Melleites et les Latins d' Anitoche au temps des Croisades, in Revue des etudes Byzantines, vol. xxix 1971.

J. France, The Crisis of Lhe frst Crusade, in Byzantion, t. xl, 1970.

J. La Monte, Crusde and Jihad, in The Arab Heritage, ed. by N. A: Faris, New Jersy, 1964.

B.Z. Kedar, 1 — Crusade and Mission, European Approaches to the Muslims, Princeton, 1988.
2 — Ecclesiastical Legislatin in Kingdom of Jerusalen, The Statutes of Jaffa (1953) and Acre (154) , in Crusade and Settelment, ed, by P. W. Edbury, Cardiff 1985.

Karl - Ernst Lupprian, Die Beziehungen der Papste zu Islamischen urd Mangolischen Herrschern in 13. Jahrhundert anéand ihres Briefwechsels, Vatican 1981.

J. P: Martin, Les Premiers Princes Croisés et les Syriens Jacopites de Jerusalem, in Journal Asiatique, 1888, Ser, 8, 12.

J. Prawer, 1 — The Settelment of the Latins in Jerusalem, inSpeeulum, 27, 1952.

2 — « The Jerusalem The Crusaders captured » in, Crade and Settement, ed by. P. W: Edbury Cardiff; 1985:

3 — Crusader Institutions; Oxford 1980.

Jean — Richard; The Latin Kingdom of Jerusalem; trans. from French by J. Shively, 2 Vols: Amsterdam 1979.

R. Rohricht, 1 — Geschichte des Konigerichs Jerusalem, (1100 — 1291) Innsbruck 1889.

2 — zur Kur korrespondeng der Pâpste mit dem Sultanen und Mongolkanen des Morgenlandes im seitatter den Kreuzzuge, Theoloyischen Studien und kritiken, Lxix (1891).

S. Runciman, History of the Crusades, 3 Vols. London 1971.

رابعا : المراجــع العربية والمعربـــة :

السيد عبد العزيز سالم (دكتور) :

١ ـ تاريخ الدولة العربية ، الاسكندرية ١٩٨٤ ٠

٢ ـ المغرب الكبير ، العصر الاسلامى ، القاهرة ١٩٦٦ ٠

بتلر (الفريد) :

فتح العرب لمصر ، تعريب محمد فريد ابو حديد ، القاهرة ١٩٨٩

حسن عبد الوهاب حسين (دكتور) :

تاريخ جماعــة الفرسان التيوتون فى الاراضى المقدســة ، الاسكندرية ١٩٨٩ ٠

سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) :

الحركة الصليبية ، جزاءن ٠ القاهرة ١٩٦٣ ٠

محمود سعيد عمران (دكتور) :

الحملة الصليبية الخامسة ، الاسكندرية ١٩٨٥ ٠